**وعقلية** : تخاطب العقل ، وتعتمد على الفكر ، كمعجزة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

**وتنقسم كذلك إلى** : دائمة : كالقرآن الكريم ، .. وغير دائمة : كمعجزات سائر الرسل .

* * كما أحب كذلك أن أُضيف إلى ما وقفت عليه .. بعض القراءات التى وقفتُ عليها [1] حول :

## الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

وإذا كنا قد عرفنا عن المعجزة ما فيه الكفاية

* * فإن الكرامة بالإضافة إلى ما عرفته عنها قبل ذلك كذلك : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبده الصالح ، غير مقترن بالتحدى ، ولا بِدَعْوَى الرسالة ، كولادة مريم لعيسى من غير أب ، وإمداد الله لها بما اشتهت من الرزق من غير سعى .. قال تعالى :

---

(١) فى البحوث الدينية .. بتصرف .

* ﴿ .. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

* وما يروى من أن ( سارية ) قائد جيوش المسلمين فى فارس سمع صوت أمير المؤمنين ( عمر ) حين ناداه وهو بالمدينة قائلاً : (ياسارِيَةُ الجبَلَ ) ، مريداً أن ينحاز بجيوشه إلي ناحية خاصة ، وأنه انحاز لها فكان فى ذلك انتصاره ، وانهزام أعدائه من المشركين .. ورجع سارية فأخبرَ عمر والصحابة بما سمع من صوت عمر رضى الله عنه وعنهم أجمعين .

* ومن ذلك ماروى أن الملأئكة كانت تسلم على عمران بن حصين ، رضى الله عنه .

* وأن سلمان الفارسى وأبا الدرداء ـ رضى الله عنهما ـ كانا يأكلان فى صحفة فسبحت الصحفة أو الطعام فيها .

* وأن خُبَيْباً ـ رضى الله عنه ـ كان أسيراً عند المشركين بمكة فكان يُؤْتَى بعنب يأكله ، وليس بمكة من عنب .

---

(١) آل عمران ـ من الآية : ٣٧ .

* وأن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ كان إذا أقسم على الله فى شىء استجاب الله له ، حتى كان يوم القادسية أقسم على الله أن يمكن المسلمين من رقاب المشركين ، وأن يكون أول شهيد فى المعركة فكان كَما طلب .

* وأن العلاء بن الحضرمى ـ رضى الله عنه ـ كان يقول فى دعائه : ياعليم ياحكيم ، ياعلىُّ ياعظيم ، فَيُسْتَجَابُ له ، حتى إنه خاض البحر بِسَرِيَّة معه فلم تبتل سروج خيولهم .

* وأن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ دعا الله على رجل كان يؤذيه ، فَخَرَّ ميتاً فى الحال .

* وأن رجلاً من النخع كان له حمار فمات فى طريق سفره ، فتوضأ وصلى ركعتين ، ودعا الله عز وجل فأحيا له حماره، وحمل عليه متاعه .. إلى غير ذلك من الكرامات التى لاتعد ولاتحصى ... والتى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها .. آمين

* * وأما السحر ، فَيُطْلَقُ فى اللسان العربى على كل مالطف مأخذه ، ودقَّ وخَفِى ، سواء أكان حَلالاً أم حَرامًا ، وفى الحديث:

« إن من البيان لسحراً » ولكن المراد به هنا : كل تخييل يخدع الأعين ، ويظهر لها الأمور المألوفة فى غير أثوابها الطبيعية ، أو يوقع فى النفوس أوهاماً وخيالات تؤثر فيها ، وتوجهها توجيها خَاصّاً . والسحر يظهر فى صور متعددة : فقد يكون مهارة تعتمد على خفة الحركة ، ومغالطة الحواس ، كما يفعل الحُواة ، ومحترفو الألعاب السحرية

أو صناعةعلمية أساسها استخدام خواص المادة ، وقوى العناصر، فإذا رآها من يَجهلها ظنَّها سِحرا ،

أوتمويهاً قوامه الذكاء وقوة الملاحظة ، كما يفعل كثير من الْعرَّافين ، وقارِئى الكف ، وطارقى الحَصَى ، وضاربى الرمل ، ومُستنطقى الورق ، وغيرهم ممن يدعون علم الغيب ، وهم إنما يخبرون الناس بما يتفرسونه فيهم ، ويطالعونه فى أساريرهم ، ويستنتجونه من أقوالهم وما يُحيط بهم . وقد يكون إيحاءً يفعل فى النفوس فِعْلَه ، ويسيطر عليها بما له من قوة ، ومن ذلك النوع ما يأتى به كثير ممن يدعون العلم الروحى والاتصال بالشياطين ، ويتعاطون كتابة الرُّقَى والتعاويذ والتمائم ؛ لدفع أثر العين ، ومَّس

الجن ، وخلق الحب والكره ، وإبراء كثير من العلل ، وهم لم يأتوا بشيء أكثر من استخدام قوة الإيحاء والتأثير بها على السُّذَّج والأغرار . وبحسبك أن تعرفه مما ساقه أحد العلماء الأمر يكيين فى هذا الصَّدد ؛ لتدرك أثر الإ يحاء النفسى ، فقد أخبر تلاميذه بأنه سيَسقيهم سائلاً لم يعرفوا عنه شيئاً من قبل ، وأنهم سيُحسُّون عَقب تناوله بغَثَيان وَدُوَار واضطراب ينتهى بالقىء ، ثم قدم إليهم السائل ، ولم يكن شيئاً سوى الماء ، وبرغم ذلك انتابتهم الأعراض التى حَدثهم بها . وليس بين الناس اليوم مَن ينكر فعل الإيحاء ، أويشك فيه بعد أن أصبح مَيداناً من ميادين البحث النفسى، ووسيلة لعلاج بعض الأمراض وتحقيق كثير من الغايات .

ويقرب من هذا ما يكون فى التنويم المغناطيسى واستحضار الأرواح من تسلط بعض النفوس القوية على غيرها ، والوصول بذلك إلى قراءة الأفكار والكشف عن بعض الخفايا الواقعية التى تحول دونها حجب المادة .

تلك كلها صُور لما يسمى سحراً ، وبتأملها ترى أن السحر يباين المعجزة أشد المباينة ، فليس خَارقًا للعادة ، ولا خارجًا عن طوق

البشر، وإنما هو أمرٌ يُلَقَّنُ ويُتَعَلَّمُ ، وله أسباب يمكن إتقانها بالرياضة عليها ، وهو لا يغير حقائق الأشياء أو يخرجها عن السنن الطبيعى لها ، ثم هو قد ينصرف إلى نواحى الشر ومقاصد السوء ، ويتعاطاه الأشرار للاستعانة به على مآربهم الفاسدة .

* * وهناك مارآه وشاهده مئات ألوف البشر من أحوال شيطانية غريبة فى كل زمان ومكان تقع لأولياء الشيطان :

* فَمنْهُم من كان يأتيه بأنواع من الأطعمة والأشربة ،

* ومنهم من يقضى له الشيطان حاجاته،

* ومنهم من يكلمه بالغيب ويطلعه على بعض بواطن الأمور وخفاياها،

* ومنهم من يمنع نفوذ السلاح إليه ،

* ومنهم من يأتيه الشيطان فى صورة رجل صالح عندما يستغيث بذلك الصالح لتغريره ، وتضليله وحمله على الشرك بالله ومعاصيه،

* ومنهم من قد يحمله إلى بلد بعيد أو يأيته بأشخاص أو حاجات من أما كن بعيدة ، إلى غير ذلك من الأعمال التى تقوى

على فعلها الشياطين ومَرَدَةُ الجان وخبثاؤه .

وتحصل هذه الأحوال الشيطانية نتيجة لخبث روح الآدمى بما يتعاطى من ضروب الشر والفساد والكفر والمعاصى البعيدة عن كل حق وخير ، وإيمان وتقوى وصلاح ، حتى يبلغ الآدمى درجة من خُبْثِ النفس وشرها يتحد فيها مع أرواح الشياطين المطبوعة على الخبث والشر ، وعندئذ تتم الولاية بينه وبين الشياطين ، فيوحى بعضهم إلى بعض ، ويخدم بعضهم بعضاً ،كل بما يقدر عليه ؛ ولذا يقال لهم يوم القيامة : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ (١) .

وأما الفرق بين كرامة أولياء الله الربانية وبين الأحوال الشيطانية ، فإنه يظهر فى سلوك العبد وحاله ، فإن كان من ذوى الإيمان والتقوى المتمسكين بشريعة الله ظاهراً وباطناً فما يجرى على يديه من خارقة هوكرامة من الله تعالى له ، وإن كان من ذوى الخبث والشر والبعد عن التقوى المنغمسين فى ضروب المعاصى

(١) الأنعام ـ من الآية : ١٢٨ .

المتوغلين فى الكفر والفساد ، فما يجرى على يديه من خارقة إنما هو من جنس الاستدراج أو من خدمة أوليائه من الشياطين له ، ومساعدتهم إياه .

فَلاَحِظْ كل هذا ـ أخا الإسلام ـ حتى تكون من أولياء الرحمن ، لامن أولياء الشيطان الذين نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيذنا من شرورهم وشرور شياطينهم .. آمين ..آمين ..آمين .

* * والآن ـ أخا الإسلام ـ وبعد أن وقفتَ معى على كل تلك الأساسيات التى كان لابد أن تقف عليها بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام بصفة عامة ، والرسول محمد ﷺ بصفة خاصة :

أَنْتقل بك بعد ذلك إلى الموضوع الأساسى ، وهو : الواجب والمستحيل والجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فأما :

## الصفات الواجبة للرسل إجمالاً وتفصيلاً

فإنه يجب للرسل إجمالاً : كل كمال بشرى ، كالعدل ، والحلم ، والصبر ، والشجاعة ، والمروءة ، والكرم ، وحسن الخلق ،

والوفاء بالعهود ، والمحافظة على العقود ، والإحسان ، والصفح، وعلو النسب ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة .

ويجب لهم تفصيلاً : الصدق ، والأمانة ، والتبليغ، والفطانة .

**وإليك توضيح ما يجب لهم تفصيلاً :**

## ١- الصدق ودليل وجوبه للرسل

الصدق هو : ( **مطابقة الخبر للواقع** ) وعلى هذا فإنه : يجب للرسل الصدق فيما يبلغونه عن الله تعالى وفى جميع أقوالهم ولو عادية ؛ لأن ما ظهر على أيديهم من المعجزة ، وهى : أمر خلقه الله تعالى مخالف للعادة مقرون بالتحدى ، أى واقع عند دعوى الرسالة مع عدم إمكان معارضته بمثله ( منزل ) منزلة قول الله تعالى: صدق عبدى فى كل مابلغه عنى . كتظليل الغمام ، وانشقاق القمر وغيرهما .

**والدليل على وجوب الصدق لهم :**

أن الله تعالى قد صدقهم بالمعجزات ، فأظهر على أيديهم خوارق العادات ، وكأنه تعالى يقول ـ كما عرفنا ـ صدق عبدى

فيما يبلغ عنى ، ولو جاز عليهم الكذب ما صدقهم الله ؛ لأن تصديق من يجوز عليه الكذب كذب ، والكذب محال على الله تعالى، فاستحال عليهم الكذب ، ووجب لهم الصدق ، قال تعالى: ﴿ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (١) . وقال ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ (٢) . وقال : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (٣) .

## ٢ ـ الأمانة ودليل وجوبها للرسل

ويجب فى حقهم : الأمانة ، وهى العصمة التى معناها أن الله تعالى قد حفظ ظواهرهم وبواطنهم من المعاصى كبيرها وصغيرها؛ لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم غير الخاصة بهم . فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾ (٤) . وقال: ﴿ .. فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

---

(١) الأحزاب ـ من الآية : ٢٢ .

(٢) الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٣) النجم : الآيتان ٣ و ٤ .

(٤) آل عمران : الآية : ٣١ .

تَهْتَدُونَ ... ﴾ (١) . وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾ (٢) .

والله سبحانه وتعالى لا يأمر بمعصية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وهذا معناه أنه لوجازت عليهم خيانة بفعْل منهى عنه أوبترك مأمور به ما أمرنا الله تعالى باتباعهم ؛ لأنه تعالى لايأمر باتباع الخائنين.. وهذا دليل على أنه قد استحالت عليهم الخيانة ، ووجبت لهم الأمانة .

هذا ، وإذا كنا قد عرفنا أنه يجب فى حقهم العصمة ـ أى الأمانة ـ فإنه يجب فى حقهم كذلك تبليغ كل ما أُمروا بتبليغه إلى الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ... ﴾ (٤) ـ كما سنعرف بعد بالتفصيل .

---

(١) الأعراف : من الآية : ١٥٨ .
(٢) الأعراف : من الآية : ١٥٧ .
(٣) الأعراف : من الآية : ٢٨ .
(٤) المائدة : من الآية : ٦٧ .

وإذا كنا قد عرفنا كذلك ـ قبل ذلك ـ بأنه يجب فى حقهم العصمة من المعاصى كبيرها وصغيرها :

فإننى أحب أن أشير هنا ـ بعد ذلك ـ إلى ما سجله صاحب (الدين الخالص ) [1] فى الهامش تعليقاً على هذا ، وهو :

قال فى العقد الثمين : إن الله تعالى قد نزههم عن كل وصمة ونقص فَهُم معصومون عن الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها على المختار . وما وقع فى قصص بعضهم من بعض المفسرين لايُلتَفَتُ إليه ( فإنما ) هو من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما يشاء ، وأن يعاتبه على خلاف الأَوْلَى معاتبة غيره على المعصية ، كما قيل : إن حَسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولا خلاف بين العلماء فى عصمتهم عن تعمد الكبائر ، وإنما الخلاف فى أن عصمتهم عن ذلك بدليل السمع أو بدليل العقل ( فالأول ) مذهب أهل السنة ( والثانى ) قول المعتزلة .

وأما وقوع الصغائر فَجَوَّزَهُ البعض ، والمحققون من المحدثين لم يجوزوا إلا وقوع الصغائر سَهْواً .

---

(١) جـ١ صفحة : ٥٣ .

و أما الكبائر مطلقاً والصغائر عمداً فلا ، وعلى ذلك الكثير .

وقد قرأت كذلك ، حول هذا الموضوع فى ( البحوث الدينية) : أن دليل ثبوت العصمة لهم : أنهم لو خانوا فارتكبوا المعصية ، لكان للناس العذر فى أن يرتكبوها تَبَعاً لهم ؛ لأن الله قد أمر باتباعهم فى كل أقوالهم وأفعالهم إلا فيما ثبت اختصاصهم به ، فكأنه يأمر بالمعصية ، والله لا يأمر بالفحشاء ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ثم إن وقوع الذنوب منهم ينفى الثقة بهم ، ويستوجب الإعراض عنهم ؛ لأن النبى هو المعلم الأول ، ولن تلقى كلمة المعلم منفذاً إلى القلوب إلا إذا تمسك بما يدعو إليه ، وكان لغيره قدوة صالحة .

وكيف يستطيع الرسول أن يجهر بأمره ، ويدعو الناس إلى اتباعه إذا أُخِذت عليه هفوة تخدش المروءة ، وتكون موضِعا للطعن والتَّعْيير ؟!

على أن النبوة أسمى مناصب الخَلق وأشرفها ، والله يصطفى لها من عباده مَن يشاء ، ويُضْفِى عليه من أنواع الكمال البشرى

مالا غاية وراءه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، فلابد أن يكون الرسول أطهر الناس ، وأكبرهم نفساً ، وأبعدهم عن كل صغيرة وكبيرة من الذُّنوب .

ولكن الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ والنسيان فى غير التشريع الذى يوحيه الله إليهم ؛ لأنهم بشر يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، ويكفى فى معرفة ذلك أن نسوق لك كلمة ( ابن حزم ) فى الجزء الرابع من كتابه ( الْمِلَل والنحل ) قال :

« إنه قد يقع من الأنبياء السهو من غير قصد ، ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله والتقرب منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى ، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلاً ، بل ينبههم على ذلك ـ ولابُدَّ ـ إثْر وقوعه منهم ، ويُظهر عز وجل ذلك لعباده ، ويبين لهم » .

وخطؤهم فى الأمور المعاشية ، ومالیس من التشريع فى شيء لايَطعن فى عصمتهم كذلك ، وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام فى حديث له :

« **إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر** » ويقول «**أنتم أعلم بأمر دنياكم** » .

فالأنبياء : معصومون من مقارفة الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها ، وكل ما يُنسبُ إليهم مما يوهم نقصهم أو انحرافهم يجب أن يُفْحَصَ عنه فيُرَدَّ إن كان باطلاً مُختلَقاً ، وإن كان ثابتاً لا مجال للشك فيه وجب أن يُفْهَم على وجهه الصحيح، وأن يؤول بما ينفى الرَّيْب عنهم ، ويحفظ عليهم قُدسية النبوة وطهرها . ومن أمثلة ذلك :

* ما جاء به القرآن الكريم خاصاً بيوسف عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ (١) .

وليس فى هذا ما يطعن فى عصمته عليه السلام متى فُهِم على وجهه الذى يليق بجلال النبوة ويُسيغه مفهوم اللغة . إن قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ معناه أنه مال إليها ، بحكم طبيعته البشرية ، ولكنه تَغَلَّبَ على هذا الميل ، إذْ رأى برهان ربه ، وما برهان ربه ؟ إنه هو

(١) يوسف : من الآية ٢٤ .

حكمه على المكلفين باجتناب المحارم ، وكُلُّ ما تَمثَّل ليوسف من قبح هذه الفَعْلة ، ودلائل النهى عنها ، وما تجلَّى من يقظة ضميره، وخشيته لله .

ومن هذا ما تحكيه الآية عنه فتقول : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١) .

وليس فى إحساس يوسف بهذه الخلجات النفسية من حرج ، مادام قد جاهدها ، وقضى عليها ، بل إن القول بأنه لم يحس مطلقاً بشىء منها هو الذى يعتبر غير مفهوم ؛ لأنه بشر له غرائزه ، وله قُواه .

وفى ذلك يقول الزمخشرى فى تفسيره ( الكشاف ) : « ولم يكن ذلك الميل ، المسمى هَمّاً لشدته ، لما كان صاحبه ممدوحاً عندالله بالامتناع ؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء حسب عظم الابتلاء وشدته » .

وإتماماً للفائدة إليك ـ أخا الإسلام ـ هذه الأقوال الواردة كذلك فى الموضوع الذى قد يكون شاغلاً لكثير من المسلمين

---

(١) يوسف : من الآية ٢٣ .

الباحثين عن القول الصحيح المناسب ـ كما عرفنا ـ لقدسية النبوة:

* ففى القرطبى قرأت ما خُلاَصته :

قوله : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ هى امرأة العزيز ، طلبت منه أن يواقعها ، وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين ... ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ، يقال : إنها سبعة أبواب ، غلّقتها ثم دعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أى هلُمّ وأقبلْ وتعال .. ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ أى أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتنى إليه ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ ﴾ يعنى زوجها ، أى هو سيدى أكرمنى فلا أخونه ..قاله مجاهد وابن إسحاق والسدى . وقال الزجاج : أى إن الله ربى تولانى بلطفه ، فلا أركب ما حرمه ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ وفى الخبر أنها قالت له : يا يوسف ، ماأحسن صورة وجهك ! قال : فى الرَّحِم صوَّرنى ربى ، قالت : يا يوسف ، ما أحسنَ شعرك ! قال : هو أول شىء يبلى منى فى قبرى ، قالت : يا يوسف ، ما أحسن عينيك ! قال : بهما أنظر إلى ربى . قالت : يا يوسف ، ارفع بصرك فانظر فى وجهى ، قال : إنى أخاف العمى فى آخرتى . قالت : يا يوسف ، أدنو منك ، وتتباعد عنى ؟ قال :

أريدُ بذلك القرب من ربى . قالت : يا يوسف ، القيطون [1] فادخل معى ، قال : القيطون ـ أى المخدع ـ لايسترنى من ربى . قالت : يا يوسف ، فراش الحرير قد فرشته لك ، قم فاقض حاجتى ، قال : إذَنْ يذهب من الجنة نصيبى ... إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها ، إلى أن هَمَّ بها . وقد ذكر بعضهم : ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة ، فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه ... ثم يقول القرطبى باختصار : واختلف العلماء فى هَمِّه ، ولاخلاف أن همها كان بالمعصية ، وأما يوسف فهَمَّ بها ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ أى ولكن لما رأى البرهان ما هَمَّ ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ...

إلى أن يقول : قوله تعالى : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ والجواب محذوف لعلم السامع ، أى لكان ما كان ، وهذا البرهان غير مذكور فى القرآن ، فروى عن على بن أبى طالب رضى الله

---

(١) أى المخدع .

عنه أن زُلَيخَا قامت إلى صنم مُكَلَّلٍ بالدُّر والياقوت فى زاوية البيت فسترته بثوب ، فقال : ما تصنعين ؟ قالت : استحى من إلـهى هذا أن يرانى فى هذ الصورة ، فقال يوسف : أنا أولى أن أستحى من الله، وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأن فيه إقامة الدليل .

* وقيل : رأى مكتوباً فى سقف البيت : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

* وقال ابن عباس : بدت كَفٌّ مكتوب عليها : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ (٢) .

وقال قوم : تذكر عهد الله وميثاقه . وقيل : نودى يا يوسف ، أنت مكتوب فى الأنبياء وتعمل عمل السفهاء ؟ !

وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدران عاضّاً على أنملته يتوعده فسكن ، وخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن والضَّحَّاك وأبو صالح وسعيد بن جبير .

وروى الأعمش عن مجاهد قال : حَلَّ سَراويله ، فتمثل له يعقوب ، وقال له : يا يوسف ، فولِّى هارباً .

---

(١) الإسراء : ٣٢ .

(٢) الانفطار : ١٠

وروى سفيان عن أبى حصين عن أبى سعيد بن جبير قال : مثل له يعقوب ، فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، قال مجاهد : فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا يوسف لم يولد له إلا غلامان ، ونقص بتلك الشهوة ولده ، وقيل غير هذا .

وبالجملة : فذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله يوسف حتى قوى إيمانه وامتنع عن المعصية . ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ . والسوء الشهوة ، والفحشاء المباشرة وقيل : السوء الثناء القبيح ، والفحشاء الزنى ـ وقيل : السوء خيانة صاحبه ، والفحشاء ركوب الفاحشة . وقيل : السوء عقوبة الملك العزيز .

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ :

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ( المخلِصين ) بكسر اللام ، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله ، وقرأ الباقون بفتح اللام ، وتأويلها : الذين أخلصهم الله لرسالته ، وقد كان يوسف صلى الله عليه وسلم بهاتين الصفتين ؛ لأنه كان مخلِصاً فى طاعة الله تعالى ، ومستَخلَصاً لرسالة الله تعالى .

* وفى ( التفسير الوسيط ) جاء حول قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ : أن المعنى : ولقد همت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام تجذبه إلى نفسها ، وتوسعه لومًا على موقفه منها مع أنها هى التى طلبته وراودته ، وأذلت له نفسها ، وهو فى نظرها عبد لها وهى سيدته ، ولكنه هَمَّ بها يدفعها عن نفسه ، وكاد يضربها لمزيد إصرارها على مخالطته ، لولا أن رأى ضميره برهان ربه يصرفه عن ضربها ؛ لأنها آوته وأكرمته ، ولأنه لو ضربها لادَّعَتْ أنه رَاوَدَها ، ولَمَّا امتنعت من إجابته ضربها ، لولا ذلك لضربها وانتقم منها لهذه الجريمة التى دبَّرتْها له وهو منها برىء ومعصوم .

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ :أى فعلنا مثل ذلك التثبيت بالبرهان مع يوسف ـ عليه السلام ـ لنصرف عنه السوء . وهو ضرب من أكرمته وآوته ، ولنصرف عنه الفحشاء التى دعته إليها ـ وهى المخالطة ـ إنه من عبادنا الذين أخلصناهم لنا ، وهم آباؤه الذين أخلصهم ونقَّاهم من شوائب النقص . فقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ

﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ (١) .

وفسرها بعض العلماء بقوله : ولقد همت به المرأة ضَرباً ـ لأنه أذلها وحطم كبرياءها ـ وهَمَّ بها دفاعاً عن نفسه .

ولكن ما قلناه أولى فإن حبها الشديد وجذبها له من قميصه يمنع من أنها تفكر فى ضربه ، ولهذا نرجح ما قلناه قبل ذلك .

وقيل : الهَمُّ منها عزم وإصرار على المعصية ، ومنه مجرد خطور بالبال بمقتضى الطبيعة البشرية مع الاعتصام بالتقوى . وسمى باسم الأول مشاكلة . ويدل لذلك أن الله تعالى مدحه بأنه من عباده المخلصين . ولا يكون ذلك إلا مع سلامة الإرادة وقوة الوازع المتمثل فى برهان ربه . وهذا ليس قادحاً فى العصمة . فإنه تعالى هو العاصم وقد عصمه ببرهانه ، وهو الحجة التى أقامها الله فى نفسه على التحريم حين المراودة منها له ولجاجتها عليه . وقوة البرهان وسلطانه على إرادة الأنبياء ينتهيان دائماً إلى العصمة من

(١) ص : ٤٥ ـ ٤٧ .

دواعى البشرية المحرمة ، ولاشك أن الامتناع مع الخطور بالبال يدل على قوة الوازع وقوة الإرادة أكثر من الامتناع مع عدم وجوده ـ ومع جودة هذا الرأى فما قلناه أولا هو أفضل الآراء . وهو ما وفقنا الله له . والله تعالى أعلم .

ثم يقول بعد ذلك فى ختام هذا التفسير : وقد ضربنا صَفْحًا عما سطره بعض المفسرين من القصص الهابطة التى ذكرت فى تفسير الآية ، وينبو قلمنا عن تسطيرها .

وختامًا لهذا العرض أورد كذلك :

* ما جاء فى (فى ظلال القرآن الكريم) للأستاذ الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يقول حول قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾

لقد حصر جميع المفسرين القدامى والمحدثين نظرهم فى تلك الواقعة الأخيرة . فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رَوَوْا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعًا شبقًا ، والله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع ! صورت له هيئة أبيه يعقوب فى سقف المخدع عاضًا على أصبعه بفمه ! وصورت له لوحات كتبت عليها

آيات من القرآن ـ أى نعم من القرآن ! ـ تنهى عن مثل هذا المنكر، وهو لا يرعوى ! حتى أرسل الله جبريل يقول له : أدرك عبدى ، فجاء فضربه فى صدره .. إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التى سار وراءها بعض الرواة ، وهى واضحة التلفيق والاختراع !

وأما جمهور المفسرين فسار على أنها همت به هَمَّ الفعل ، وهم بها هَمَّ النفس ، ثم تجلى له برهان ربه فترك .

وأنكر المرحوم الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار على الجمهور هذا الرأى . وقال : إنها همت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها وهى السيدة الآمرة ، وهَمَّ هو بردِّ الاعتداء ، ولكنه آثر الهرب فلحقت به ، وقَدَّتْ قميصه من دُبُر [1] .. وتفسير الهم بأنه الضرب ورد الضرب مسألة لادليل عليها فى العبارة ، فهى مجرد رأى لمحاولة البعد بيوسف عن هَم الفعل أو هم الميل إليه فى تلك الواقعة ، وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص .

أما الذى خطر لى وأنا أراجع النصوص هنا ، وأراجع الظروف التى عاش فيها يوسف ، فى داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة

(١) أى من الخلف .

فترة من الزمن طويلة وقبل أن يؤتى الحكم والعلم وبعدما أوتيهما ..

الذى خطر لى أن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ ..

هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعدما أبى يوسف فى أول الأمر واستعصم .. وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام فى النهاية والنجاة .. ولكن السياق القرآنى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة المتعارضة المتغالبة ؛ لأن المنهج القرآنى لايريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة ، وفى محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك ـ فذكر طرفى الموقف بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته ، ومع الإلمام بلحظة الضعف بينهما ؛ ليكتمل الصدق والواقعية والجو النظيف جميعاً .

هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص ، ونتصور الظرف . وهو أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية ، وما كان يوسف سوى بشر . نعم إنه بشر مختار . ومن ثَمَّ لم يتجاوز همه الميل النفسى فى لحظة من اللحظات ، فلما أن رأى برهان ربه الذى

نبض فى ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأبى .

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

* * ومما يوهم ظاهره المساس بعصمة محمد ﷺ قصته مع عبد الله بن أم مكتوم التى يصورها قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾

* فقد جاء حول تفسير هذه الآيات أن النبى ﷺ كان يدعو عتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وأبا جهل ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهم من صناديد قريش فأتاه ابن أم مكتوم[1] الأعمى ، وقال له يا رسول الله : « أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى » ، وكرر ذلك وهو لايعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم ، فكره رسول الله قَطْعَهُ

(١) وهو عبدالله بن أم مكتوم ، ويقال عمرو بن أم مكتوم

لكلامه ، وأعرض عنه عابساً ، فنزلت الآيات .

وليس فى القصة ما يُخل بعصمته عليه السلام ، فإنه لم يعرض عن ابن أم مكتوم قَصداً لإساءته ، ولا استصغاراً لشأنه ، وإنما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرغ لما هو فيه من دعوة أولئك الأشراف ، وتهالكاً على إيمانهم ؛ لأنه كان يرجو أن يسلم بإسلامهم خلق كثير ، ويطمع فى ذيوع أمره إذا انضم هؤلاء إليه ، وكَفُّوا عن مناضلته والكيد له .

وكان النبى ـ إذنْ ـ يبتغى بعمله التقرب إلى ربه ، كَان جاداً فى نشر الدعوة مستغرقا فيما رآه أنفع لها وأجدى عليها ، وأقرب شىء إلى الطبيعة البشرية فى هذه الحالة أن يعبس الإنسان إذا صرفه صارف عما هو بِصَدَدِه ، كما فعل ابن أُم مكتومٍ .

ولكن ذلك كان على خلاف مراده تعالى فعاتبه عليه ، ونبهه إليه ، وبين له أن الصواب فى ألا يعرض عن راغب فى المعرفة مهما قل شأنه ، وألا يتصدى لمعرض عن الهداية وإن كان عظيماً ؛ لأن مهمته التبليغ ، وما عليه من شىء فى كفر الناس أو إيمانهم .

قال الثورى : فكان النبى ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول : « مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى » ، ويقول «هل من حاجة » ، واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما ، قال أنس : فرأيته يوم القادسية راكباً وعليه درع ومعه راية سوداء[1] .

كما روى أنه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ، ولا تصدى لغنى .

* * وأستكمل معك ـ أخا الإسلام ـ هذا الموضوع فى تهذيب شرح الخريدة ، تحت عنوان :

## عصمة الأنبياء وَرَدُّ الشُّبَهِ الواردة عليها

لقد عصم الله تعالى أنبياءه من المعاصى وحفظ ظواهرهم وبواطنهم ، فلا يتركون واجباً ولا يفعلون مَنهيّاً عنه ، و يدل على أنهم معصومون من المعاصى أمور منها :

(١) أنهم لو أذنبوا لما أمرنا الله باتباعهم .

(٢) أنهم لو أذنبوا لكَانوا ظالمين ومانالهم عهد النبوة لقوله تعالى:

(١) راجع المسألة الثالثة حول تفسير الآية فى القرطبى .

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

(٣) أنهم لو أذنبوا لسقطت هيبتهم من القلوب ونفر الناس عنهم ، فتضيع الفائدة من إرسالهم .

وما ورد من الآيات الموهم ظاهرها عدم عصمة الأنبياء فمؤول بصرفه عن ظاهره ، وحمله على ما يناسب مقامهم :

أ ـ من ذلك ما ورد فى شأن سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ مما يوهم أنه عصى ربه كقوله تعالى : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (٢) فيحمل ما صدر منه على أنه كان قبل النبوة ، فلا ينافي عصمته بعدها ، ويرشد إلى أنه كان قبل النبوة قولُه تعالى : ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ أى ثم جعله نبياً بعد الأكل من الشجرة . ويجوز أن يكون ناسياً للنهى عند الأكل من الشجرة ، فلا معصية ، ويرشد إليه قوله : تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (٣) .

---

(١) البقرة ـ من الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة طه : آخر الآية ١٢١ ثم الآية : ١٢٢ .

(٣) سورة طه ـ من الآية : ١١٥ .

ب ـ ومنه ما ورد فى شأن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ من قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ [1] . مشيراً إلى بعض الكواكب ، فإن ظاهره الشرك إن اعتقد ذلك ، والكذب إن لم يعتقده، ومنه قوله تعالى : ﴿ .. إِنِّي سَقِيمٌ .. ﴾ [2] حين نظر فى النجوم ، فإن ظاهره الكذب ؛ لأنه لم يكن مريضاً وقتئذ ، وقوله : ﴿بل فعله كبيرهم هذا ﴾ [3] مشيراً إلى كبير الأصنام فإن ظاهره الكذب ؛ لأن الذى حطم الأصنام هو سيدنا إبراهيم ، فيُحْمَلُ قولُه: ﴿هَٰذَا رَبِّي ﴾ على الفرض والتقدير فى معرض إقامة الحجة على بطلان زعم قومه ، وهذا باطل ، فزعمكم باطل . ويحمل قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ على سقم نفسه وهو الحزن لعدم إيمان قومه ، ويحمل قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ على أنه تعريض بغباوة قومه ؛ لأنهم يعبدون آلهة لا تغنى عنهم شيئًا والتعريض ليس كذبًا.

جـ ـ ومنه ما ورد فى شأن نبينا محمد عليه السلام من نحو

---

(١) الأنعام ـ من الآية : ٧٧ .

(٢) الصافات ـ من الآية : ٨٩ .

(٣) الأنبياء ـ من الآية : ٦٣ .

قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ .. ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .. ﴾ [2].

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ .... ﴾ [3]

فيُحمل فى الآية الأولى على أنه عتاب للنبى ﷺ على ترك الأَوْلَى فى أمر الحرب ؛ لأن النبى ﷺ كان قد أذن لجماعة فى التخلف عن غزوة تبوك عندما تعللوا بأعذار دون أن يتبين صدقهم .

ويحمل الذنب فى الآية الثانية على ترك الأَوْلَى ، وهو ليس ذنباً فى الحقيقة ، وأطلق عليه ذنب نظراً لمقام النبى ﷺ .

ويحمل فى الآية الثالثة على أنه عتاب للنبى ﷺ على ترك الأَوْلَى ، فقد روى أنه عليه السلام أُتىَ بسبعين أسيراً فى غزوة بدر، فيهم العباس عمه ، وعقيل بن أبى طالب ، واستشار أبا بكر فيهم، فقال : قومك وأهلك استبقهم ، فلعل الله تعالى أن يتوب عليهم ،

---

(١) التوبة ـ من الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الفتح ـ من الآية : ٢ .

(٣) الأنفال ـ من الآية : ٦٧ .

وخُذْ مِنهم فدية تقوى بها أصحابك ، وقال عمر : كَذَّبوكَ وأخرجوك من بلدك فاضربْ أعناقهم ، وقال سعد بن معاذ : الإثخان فى القتل أحب إلَّى . فرضى رسول الله ﷺ بالفداء ، فنزلت الآية عتاباً للنبى على ترك الإثخان فى القتل وهو أولى من الفداء ، إلى آخر ما ورد فى شأن بعض الأنبياء ، فيحمل على ما يليق بمقامهم ؛ منعا للتعارض بين ظاهر الآيات والأدلة القطعية الدالة على عصمتهم .

## ٣- التبليغ ودليل وجوبه للرسل

فيجب فى حقهم التبليغ ، وهو ( توصيل الرسل جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه إليهم ) ، أى أنه يجب على كل مكلف أن يؤمن بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد بلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه .

والدليل على وجوب التبليغ للرسل : أن كتمان شىء مما أُمِروا بتبليغه خيانة ومضيع لفائدة الرسالة ، والخيانة مستحيلة عليهم كما تقدم ، فاستحال عليهم الكتمان ووجب لهم التبليغ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ .. ﴾ (١) ، والأمر للوجوب ، وما ثبت له عليه السلام ثبت للرسل ، وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .. ﴾ (٢) ولايتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ .

وعن معاوية رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إنما أنا مبلغ والله يهدى ، وإنما أنا قاسم والله يُعطى** » أخرجه الطبرانى فى الكبير .

## ٤ ـ الفطانة ودليل وجوبها للرسل

الفطانة معناها : ( ذكاء العقل وحدته وسرعة الإدراك وحضور البديهة وقوة الحجة ) .

والدليل على وجوب الفطانة للرسل : أنهم أرسلوا لهداية الخلق وإرشادهم بالأدلة وإقامة الحجج لإثبات ما جاءوا به وإبطال شبه المنكرين وقطع أعذارهم ، ولا يكون ذلك إلا بالفطانة ، فلولم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجج وإثبات دعواهم وكان

(١) المائدة ـ من الآية : ٦٧ .
(٢) النساء ـ من الآية : ١٦٥ .

إرسالهم عبثاً ،والعبث مستحيل على الله تعالى ، فاستحالت عليهم البلادة ، ووجبت لهم الفطانة ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [1] وقال : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ .. ﴾ [2] وقال : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [3] ، وأيضا فالله قد اختارهم لتبليغ شرائعه ، والله تعالى لايختار للتبليغ عنه من يجوز عليه كذب أو خيانة أو كتمان أو بلادة .

* * وأما عن :

## المستحيل فى حق الرسل

فإنه يستحيل على الرسل إجمالاً : كل نقص بشرى يخل برسالتهم ، أو يؤدى إلى نفرة الناس عنهم ، كالظلم ، والغدر وخلف الوعد ، ونقض العهد ، والجور فى الحكم ، والجبن ، وقسوة القلب ، والكبرياء ، ودناءة الأصل ، والجنون ، والجذام ، والبرص .

---

(١) هود ـ من الآية : ٣٢ .

(٢) الأنعام ـ من الآية : ٨٣ .

(٣) النحل ـ من الآية : ١٢٥ .

كما يستحيل تفصيلاً أضداد الصفات الواجبة فى حقهم .. أى أنه يستحيل عليهم تفصيلاً : الكذب ، والخيانة ، والكتمان ، والبلادة .

والدليل على استحالة هذه الأمور على الرسل : أنها نقائص تخل بالرسالة ، وتضيع فائدتها ، وكل ما يخل بالرسالة يستحيل على الرسل ، ولأن الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة قد ثبت بالأدلة وجوبها للرسل ، فتكون أضدادها مستحيلة عليهم .

وإلى هذا يشير صاحب الخريدة فى قوله :

**وَصِفْ جميع الرسل بالأمانهْ**

**والصدق والتبليغ والفطانهْ**

**ويستحيل ضدها عليهمُ**

**وجائز كالأكل فى حقهمُ**

* * وأما عن :